الدرس السادس عشر
الأُخوّة والتآلف

عناصر الدرس:

١- الحث على الأُلفة والمحبة بين المؤمنين.

٢- ثمار الأُخوّة في الله تعالى.

٣- حقوق الأُخوّة في الله تعالى.

٤- التحذير من النزاع والخلافات وبيان عواقبها وأسبابها.

الدَّرس السادس عشر

الأُخوّة والتآلف

الحث على الأُلفة والمحبة بين المؤمنين:

إن من أجلّ نعم الله على عباده بعد نعمة الهداية للإسلام، أن ألّف بين قلوبهم فأصبحوا بنعمة الله إخوانًا متحابين، وجعل هذه المحبة أوثقَ عُرى الإيمان، فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللهُ فِي حَاجَتِهِ**» [متفق عليه].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**وَكُونُوا - عِبَادَ اللهِ - إِخْوَانًا..**» [رواه مسلم].

هذه الأُخوّة في الدين، من أعظم أسباب عز المسلمين، وأحد مصادر قوتهم وتماسك بنيانهم، لذلك حرَص النبي ﷺ بعد وصوله إلى المدينة على تحقيق هذه الأُخوّة عمليًّا؛ فآخى ﷺ بين المهاجرين والأنصار، وأصلح ما بين الأوس والخزرج؛ فأصبحوا جميعًا بنعمة الله إخوانًا متحابين، فكانت هذه الأُخوّة زينةً في الرخاء، وعُدة في البلاء، قال تعالى: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ﴾ [الأنفال: ٦٣].

ثمار الأُخوَّة في الله تعالى:

إن للأخوة في الله تعالى ثمارًا كثيرة يجنيها المتآخون والمتحابون، منها:

١- أنها توصل المتآخين إلى أن يُظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله؛ فعن

أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ...**» وذكر النبي ﷺ منهم: «**وَرَجُلانِ تَحَابَّا فِي اللهِ، اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ**» [متفق عليه].

٢- أنها تَجلِب محبة الله؛ ففي الحديث القدسي الذي يرويه النبي ﷺ عن ربه عز وجل قال: «**وَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ، وَالْمُتَجَالِسِينَ فِيَّ، وَالْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ، وَالْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ**» [رواه مالك وأحمد والحاكم وصححه ووافقه الذهبي].

٣- تذوق حلاوة الإيمان والتلذذ بالطاعات؛ فعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلاوَةَ الإيمانِ: أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سَوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبّ المَرْءَ لا يُحِبُّهُ إِلّا لله، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللهُ مِنْهُ، كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ**» [متفق عليه].

٤- أن المرء مع من أحب في الجنة، فقد ورد ذلك في قول النبي ﷺ: «**المَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ**» [رواه البخاري ومسلم من حديث ابن مسعود رضي الله عنه].

٥- أن الأخ يشفع لأخيه، فينتفع بشفاعته، كما ذكر رسول الله ﷺ عن حال المؤمنين يوم القيامة بقوله: «**.. وَإِذَا رَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ نَجَوْا، فِي إِخْوَانِهِمْ، يَقُولُونَ: رَبَّنَا إِخْوَانُنَا، كَانُوا يُصَلُّونَ مَعَنَا، وَيَصُومُونَ مَعَنَا، وَيَعْمَلُونَ مَعَنَا، فَيَقُولُ اللهُ تَعَالَى: اذْهَبُوا، فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ دِينَارٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ، وَيُحَرِّمُ اللهُ صُوَرَهُمْ عَلَى النَّارِ، فَيَأْتُونَهُمْ وَبَعْضُهُمْ قَدْ غَابَ فِي النَّارِ إِلَى قَدَمِهِ، وَإِلَى أَنْصَافِ سَاقَيْهِ، فَيُخْرِجُونَ مَنْ عَرَفُوا، ثُمَّ يَعُودُونَ، فَيَقُولُ: اذْهَبُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ نِصْفِ دِينَارٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ مَنْ عَرَفُوا، ثُمَّ يَعُودُونَ، فَيَقُولُ: اذْهَبُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ مَنْ عَرَفُوا**» [رواه البخاري من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه].

حقوق الأُخوّة في الله تعالى:

يترتب على هذه الأخوة حقوق وواجبات ننبه على بعض منها:

فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «**لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا - عِبَادَ اللهِ - إِخْوَانًا، الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ: لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ، التَّقْوَى هَا هُنَا** - وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مِرَارٍ - **بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ: دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ**» [رواه مسلم].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ**». قِيلَ: مَا هُنَّ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**إِذَا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ، وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لَهُ، وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللهَ فَشَمِّتْهُ، وَإِذَا مَرِضَ فَعُدْهُ، وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ**» [رواه مسلم].

ولما كانت منزلة الأُخوّة في الله عاليةً في الدنيا والآخرة؛ وجب أن يُراعى فيها الإخلاص والصدق، ولزوم منهج الصالحين في هذه الأخوة التي قامت لله، وتوصل إلى محبة الله، لأن المتحابين بجلال الله على منابر من نور يوم القيامة يغبطهم الأنبياء والشهداء.

التحذير من النزاع والخلافات وبيان عواقبها وأسبابها:

إن الإسلام ينهى عن التفرق والتنازع والاختلاف، لأن عواقب ذلك في الدنيا الفشل، وفي الآخرة الوعيد بالعذاب الشديد، قال تعالى: ﴿**وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾ [آل عمران: ١٠٥].

وعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سَمِعْتُ رَجُلًا قَرَأَ آيَةً، وَسَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقْرَأُ خِلَافَهَا؛ فَجِئْتُ بِهِ النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ، فَعَرَفْتُ فِي وَجْهِهِ الْكَرَاهِيَةَ، وَقَالَ: «**كِلَاكُمَا مُحْسِنٌ، وَلَا تَخْتَلِفُوا، فَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ اخْتَلَفُوا فَهَلَكُوا**» [رواه البخاري].

وذلك أن الخلاف يؤدي إلى الفُرقة، والفرقة تؤدي إلى الضعف، والضعف يجرِّئ الأعداء علينا، فالمرء قليل ضعيف بنفسه، كثير قوي بإخوانه، والمتأمل في حال السلف الصالح يجد أنهم لما كانوا متحابين وَيَدًا واحدةً على من سواهم، ويوم كانوا كالبنيان يشد بعضه بعضًا؛ دانت لهم الدنيا من أقصاها الى أقصاها، عن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا**» وشبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِه [متفق عليه] .

فلما جاء مَن بعدهم فرّقوا دينهم وكانوا شيَعًا - إلا من رحم الله - فحدث ما لا تحمد عواقبه مما آل إليه حال المسلمين اليوم! وتكالبت عليهم الأمم! والله المستعان.

فعلى المسلمين إذا أرادوا استعادة العز والريادة أن يعتصموا بحبل الله جميعا ولا يتفرقوا، وأن يبتعدوا عن أسباب التفرق والاختلاف التي منها:

١- الجهل واتباع الهوى.
٢- الابتداع وعدم الاتباع.
٣- تقديم الرأي على الشرع.
٤- الجدل والخصومات والتأويل الفاسد.
٥- الغلو في الدين وردود الأفعال.
٦- التشبه بالكافرين واتباع سبيلهم.

نسأل الله جل وعلا بكرمه ومَنِّه أن يؤلف بين قلوب المسلمين، وأن يجعلهم يدًا على من سواهم، إنه وليّ ذلك والقادر عليه.